تأثير الدَّلَل في مجتمع مدينة شبام حضرموت (1860م-1967م)

عبدالله سعيد الجعيدي*

الملخص

اشتهرت مدينة شبام؛ بوصفها أحد أهم المراكز التجارية في وادي حضرموت – كما ارتبطت في مخيلة الكثيرين – بمبانيها العالية ونمطها المعماري التقليدي، وهذه الدراسة التاريخية شبه الميدانية تحاول التغلغل في بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية تحت جدران هذه المباني، ودراسة ما يمكن وصفه بثقافة السوق، ودور فئة الدَّلَل فيه،. وقد درجت الدراسات والمؤلفات التاريخية الحديثة المتعلقة بتاريخ حضرموت في التركيز على تناول الجوانب السياسية ،أما حظ الدراسات التاريخية الاجتماعية فما يزال محدوداً؛ وذلك لصعوبة تتبع الإشارات عن الحياة الاجتماعية في المصادر، وتكمن أهمية فئة الدَّلَل في قيامهم بالتأثير المزدوج في مجتمع مدينة شبام وهو: الوساطة التجارية (مهنتهم الرئيسة)، والتدخل في تناقضات المجتمع القبلي، وبخاصة بين القبائل المحيطة بمدينة شبام. وهذا التأثير المزدوج الذي يبدو بعيد الارتباط بين أطرافه خلق – مع عوامل أخرى – ما يمكن وصفه بظاهرة الدَّلَل في مجتمع مدينة شبام، وهي ظاهرة تعددت الاجتهادات في تفسيرها، وتضاربت نظرة المجتمع حيالها.

أولاً : لمحة عن التطورات السياسية في مدينة شبام

تقع مدينة شبام على ربوة مرتفعة إلى الشمال من مجرى وداي حضرموت الرئيس[1]، واستناداً إلى ما ورد ذكره في المصادر الكلاسيكية الإسلامية ذكر المؤرخ السقاف أن لا مدينة في داخل حضرموت إلا هي ومدينة تريم[2]،و تؤكد الشواهد التاريخية أن بداية ظهور هذه المدينة موغلة في القدم، فقد ذكرت في النقوش القديمة؛ بوصفها حاضرة من حواضر حضرموت القديمة في ضمن ذكر تلك المصادر لحواضر سبقتها من حيث الظهور والشهرة[3].

وقد حفلت مدينة شبام بالأحداث التاريخية لاسيما بعد ظهور الإسلام ودخول الحضارمة طواعية فيه، وبهذا دخلت شبام في منظومة الحكم السياسي في دولة الإسلام الفتية، وعاصمتها المدينة المنورة. واختيار عامل الرسول (ﷺ) زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي [4] لأن تكون مدينة شبام مقراً لحكمه يدل على موقعها الاستراتيجي، وعلى أهميتها السياسية.

وفي أواخر عهد الدولة الأموية جربت مدينة شبام الفعل السياسي المباشر من خلال تزعمها للثورة المناهضة للحكم الأموي وهو ما يعرف في المؤلفات التاريخية بثورة عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)[5]. وقد حوّلت هذه الثورة – بغض النظر عن نتائجها – مدينة شبام لفترة من الزمن من مدينة نائية في جنوب الجزيرة العربية إلى مركز محرك للأحداث ، وخلال القرون الإسلامية المتوالية خضعت شبام بطريقة مباشرة وغير مباشرة لحكم القوى المركزية في داخل حضرموت، وفي خارجها. ثم عرفت نوعاً من الاستقلال السياسي عندما ظهرت في حضرموت ما عُرِفَ بدويلات المدن، أو الدويلات المحلية.[6]

ودخلت شبام في مرحلة جديدة من تاريخها بعد أن تمكن السلطان علي بن عمر الكثيري في عام 1421م من السيطرة عليها، وضمها لممتلكات السلطنة الكثيرية الفتية، لكن سرعان ما نشب الصراع والانقسام في صفوف الأسرة الكثيرية إلى أن تمكن السلطان بدر بن عبدالله الكثيري الملقب (بوطويرق) من إعادة السيطرة عليها وذلك في عام 1519م[7] ، واستمرت تحت حكمهم إلى أن زالت هذه السلطنة في العقد الرابع من القرن الثامن عشر الميلادي.

وبعد زوال السلطنة الكثيرية تحوّلت معظم المدن

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ ــ كلية الآداب ــ جامعة حضرموت.

والبلدات الحضرمية إلى القوى اليافعية التي استأثرت بالحكم في المناطق المتمركزة فيها، لكن هذه المناطق لم تكن خاضعة لسلطة واحدة مما أوجد حالة من التمزق السياسي في حضرموت.[8]

وفي عام 1803م عاد جعفر بن علي بن جعفر الكثيري إلى حضرموت من بلدة (برودة) بالهند حيث كان مهاجراً فيها، وتزعم الحركة المناهضة لليافعيين في حضرموت، وبعد أن حشد المؤيدين لإعادة السلطنة الكثيرية نجح في عام 1806م من السيطرة على نصف شبام وعلى سيئون، كما استولى على تريم في عام 1807م، لكنه لم يستطع الاحتفاظ بما تحت يده؛ إذ تمكن اليافعيون من استعادة المناطق التي فقدوها[9]

لم تكن هذه التطورات نهاية المطاف في الصراع اليافعي الكثيري في السيطرة على حضرموت، ولاسيما مدينة شبام، فما أن يسيطر عليها طرف حتى يسيطر عليها طرف آخر أو يقاسمه السيطرة عليها في اتفاقات أقرب ما تكون إلى الهدنة منها إلى التصالح وتبادل المصالح، وفي عام 1818م – نتيجة لاحتدام الصراع في صفوف الأسرة الكثيرية – انتقل الحكم في شبام إلى عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري (آل عيسى)[10].

وفي خضم التجاذبات الكثيرية اليافعية واجهت دويلة آل عيسى بن بدر في شبام تحديات كبيرة أحدثت انقلاباً جوهرياً في تركيبة الحكم في حضرموت وذلك عندما تصدّر الساحة السياسية كلٌّ من غالب بن محسن الكثيري و(الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي، فقد كان لكلٍّ منهما تطلعات ذات أهداف متنوعة، وبإمكانات مادية مدعومة من ثرواتهما في حيدر أباد بالهند تفوق إمكانات القوى التقليدية في حضرموت.

كانت الخطوات التوسعية لغالب بن محسن الكثيري هي الأسرع وعلى حساب السيطرة اليافعية في أهم مدن وادي حضرموت، ففي عام 1845م سيطر الكثيريون على مدينة تريم، وفي عام 1847م سيطروا على مدينة سيئون، ولحقتهما مدينتا تريس ومريمة[11].

وقبل ذلك وبالتحديد في عام 1839م تمكَّن عمر بن منصور الكثيري من طرد اليافعيين من شبام [12].

وقد لقيت هذه التطورات صدى كبيراً في الأوساط اليافعية في حضرموت؛ إذ رأوا فيها تهديداً لوجودهم الفعلي في حضرموت؛ لهذا أرسلوا إلى (الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي رسائل عدة يستنجدون به لدرء هذه المخاطر[13]، وكان عمر بن عوض القعيطي قد اشترى قبل ذلك منطقة الريضة – التي تقع بالقرب من مدينة القطن – من السادة آل العيدروس عام 1839م؛ ليجعل منها نواة لدولته القعيطية في حضرموت[14].

وفي ضوء هذه التطورات استولى القعيطيون على مدينة شبام في عام 1860م [15] وظلت تحت حكمهم إلى أن سقطت السلطنتان الحضرميتان القعيطية والكثيرية في عام 1967م [16]. وقد تناولت مصادر تاريخ حضرموت تفاصيل الصراع السياسي في حضرموت، ونهاية الكيانات السياسية القديمة، سواء كانت يافعية أو كثيرية، لتفسح المجال أمام القوى الجديدة التي مثلها كل من أسرة (الجمعدار) عمر بن عوض القعيطي وأسرة السلطان غالب بن محسن الكثيري.

ثانياً: الأهمية التجارية لمدينة شبام

1- مكانة شبام التجارية

بدخول شبام تحت السيطرة القعيطية بدأت صفحة جديدة من تاريخها؛ إذ تحولت من مركز سياسي تعصف به الأحداث وتؤثر فيه بشكل مباشر إلى مدينة دخلت في دائرة أمنية جديدة مثلتها السلطنة القعيطية. وقد ساعدت عوامل محلية ودولية في تعزيز مكانة شبام التجارية، ففي هذا العهد تمكن القعيطيون عام 1867م من السيطرة على مدينة الشحر [17] التي تعد ميناء حضرموت الأول في العصور الوسطى

وإلى مطلع القرن العشرين، وتفيدنا المصادر التاريخية بمعلومات تؤكد على قدم العلاقات بين المدينتين التي تجاوزت في بعض ملامحها المنافع التجارية إلى الامتدادات العائلية باستقرار بعض العائلات الشبامية في مدينة الشحر[18]، وفي عام 1881م استولى القعيطيون على مدينة المكلا.

وعلى أية حال فإن سيطرة القعيطيين على ساحل حضرموت تعني سيطرتهم على الموانئ البحرية، وعزّز هذا من مكانة مدينة شبام التجارية؛ إذ صارت الموانئ الحضرمية بيد الدولة القعيطية.

كما أنَّ ارتباط القعيطيين باتفاقيات صداقة وحماية، ثم استشارة مع السلطات الاستعمارية البريطانية في عدن [19] جعل السلطنة القعيطية تدخل في النظام الأمني للإمبراطورية البريطانية، ولاريب أن ذلك ينتقص من السيادة الوطنية ولكن على الصعيد الاقتصادي – ولو في حدود ضيقة ـ يساعد على انسيابية الحركة التجارية.

وقد تفاعل التجار الشباميون مع هذه التطورات، ولم يتقوقعوا داخل مدينتهم، بل قامت بعض العائلات التجارية بتوسيع نشاطها التجاري في المدن والموانئ الرئيسة، وافتتحوا لأنفسهم ما يشبه المحطات التجارية، وصاروا حلقة الوصل بينها وبين مراكز عائلاتهم في مدينة شبام، وعلى أية حال فإن هذه التحولات التي يمكن وصفها بالمهمة ربطت شبام بحركة التجارة الخارجية.

وللّتجار مكانة خاصة في المجتمع الشبامي بحكم تجارتهم وثرواتهم، واشتهروا بالمهارة والحنكة في ترويج بضائعهم[20]، وكان يضرب بهم المثل في حصافتهم، حتى أن بعض التجار في المدن الحضرمية الأخرى يبعثون أبناءهم إلى شبام للعمل عند التجار من غير مقابل إلى أن يتمرنوا على التجارة وطرق الكسب[21]. ومن أشهر العائلات التجارية الشبامية : آل باذيب، وآل جبر، وآل التوي، وآل باعبيد، وآل باشمّاخ، وغيرهم[22].

2. أهم الأنشطة الاقتصادية

ينطبق على مدينة شبام من حيث النشأة ما ينطبق على المدن الحضرمية التي نشأت بجانب القرى الزراعية أو على النقاط الاستراتيجية، وتمتعت مدينة شبام بالميزتين التجارية والزراعية مما أكسبها أهمية خاصة بالنسبة لهذه المدن؛ إذ صارت أهم مركز تجاري في وادي حضرموت[23]. وقد ارتبط الازدهار التجاري لمدينة شبام بالمرحلة التاريخية التي كانت حركة التجارة تعتمد على قوافل الجمال التي يملكها رجال القبائل البدوية، ويتولون نقل البضائع وحمايتها.

وكانت ترد إلى مدينة شبام القوافل التجارية من مناطق حضرموت ومن خارجها، وبخاصة تلك التي تقدم من مدينة صنعاء، ومدينة عدن، وبئر علي، وظفار. وذكر (إنجرامس) العديد من المناطق التي تمر بها هذه القوافل وهي في طريقها إلى شبام، وقدر عدد الجمال التي تدخلها شهرياً ما بين 400–1.000جمل محمّل، كما يدخل أيضا1.000جمل من صنعاء سنوياً في ثلاث أو أربع قوافل [24]. ويؤكد هذا الخط الطويل والمتنوع للقوافل الواردة إلى شبام على أحقيتها بأن تكون مركزاً تجارياً وملتقى يتداخل فيه الناس باختلاف مناطقهم، وعاداتهم المحلية، وتعدد بضائعهم .

ومن أبرز السلع التي ترد إلى شبام سواء كانت من مناطق حضرموت أو من محيطها أو ما يتم استيراده من مواطن المهاجر: الحبوب بأنواعها، والبلح، والعسل، والتبغ، والزيوت، والسمن، والمواشي، والأرز، والسكر، والبن، والشاي، والمنسوجات بأنواعها، والبنادق[25]، وبهذا احتلت شبام مكانتها التجارية بجدارة، وفي أربعينيات القرن الماضي زار المؤرخ صلاح البكري مدينة شبام ووصفها قائلاً: " موقع شبام مهم من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية، فسوقها أعظم أسواق حضرموت، وأسعار الحاجيات ترتبط إلى حد ما بأسعارها في سوق شبام، فهي أشبه

بالبورصة التجارية، والشباميون مشهورون بالنشاط، وحب الحركة والعمل، ولذا لا تجد أحداً منهم يقبع في داره بالنهار إلا المرضى والعجائز، وهذا عكس الحال في سيئون وتريم "[26]. إن هذه الحركة التجارية الكبيرة في مدينة شبام ما كانت لتمضي بجهود العائلات التجارية الشبامية وحدها، بل برزت عائلات أخرى مارست وظيفة الوسيط التجاري، وتركت بصمات في مجتمع مدينة شبام، ومحيطها القبلي.

ثالثا: الدَّلَل في مدينة شبام:

1- مفهوم الدَّلَل لغة واصطلاحاً:

الدلّال؛ كلمة عربية فصيحة تعني الشخص الذي ينادي على السلع للبيع، والوسيط التجاري، والدلالة ما جعلته للدليل أو الدلال من الأجرة، وجمعها دلل[27]، ولها عند الحضارمة معان إضافية منها: التوسط في الصلح بين القبائل، أو المناداة بالإشعارات القبلية أو الحكومية، وفي نظام التراتب الاجتماعي في حضرموت وضع المؤرخ بامطرف تراتبية الدَّلَل في فئة المساكين، وقال إنهم من أسوأ مروجي الفتن ومثيريها بين القبائل من جهة، وبين القبائل والسلاطين من جهة أخرى، و بأنهم السبب في إزهاق العديد من الأنفس البريئة بين القبائل وغيرهم[28].

وينتشر الدَّلَل في معظم حواضر حضرموت، وتتفاوت تأثيراتهم في مناطق استقرارهم بحسب أهمية المنطقة التي يعيشون فيها، ففي حين يمارس البعض منهم أثر الوسيط التجاري في عملية البيع والشراء صغيرها وكبيرها، هناك من يتجاوز هذا الأثر الاقتصادي إلى الأثر الاجتماعي والسياسي، ففي بعض القرى كان الدلال هو المتحدث باسم المنطقة أو القرية في حالات التعامل مع الغرباء، وفي فحص جودة البضائع المجلوبة ومقاربة ما تستحق من سعر[29]، وهي بلا شك ميزة تتطلب خبرة خاصة، وجرأة في المجادلة.

والدَّلَل عموماً يعدون من فئات المجتمع الحضري في حضرموت التي لا يحمل أفرادها السلاح[30]، وهم وإن تماسوا بمسافة محسوبة مع المجتمع القبلي المجاور لأماكن استقرارهم فإنهم لا يتدخلون بصورة مباشرة في الصراعات القبلية، ولا يكتوون بنارها. والعلاقة بين الدَّلَل في حضرموت ورجال القبائل علاقة قديمة[31]، ارتبطت بالحركة التجارية، ونسجت بدوافع المصالح المتبادلة، وعززها الدَّلَل بخبرات اكتسبوها جراء تعاملهم المتكرر مع القادمين من مناطق الأرياف إلى المراكز الحضرية، وساعد عدم حملهم للسلاح، وعلاقاتهم الخاصة مع القبائل على حرية حركتهم، وأحياناً التحدث باسم (قبائلهم) في التسويات بين القبائل، وبهذا يمكن وضعهم في خانة السفراء الذين يهيئون الأجواء قبل أن تبرم الاتفاقات بشكلها الرسمي بين أطراف النزاع.

وقدم الموروث الشعبي الحضرمي وبخاصة الشعر العامي بعض الصور السلبية غير المباشرة عن فئة الدَّلَل، من ذلك قول الشاعر صالح عبد الرحمن المفلحي:

على كتف الدَّلَل تفحسك في الأسواق كل يد

وعرضوا بزّك البالي على أبيض وأسود [32]

ويقول شاعر آخر:

ما قلت شيء صابر على قول الدَّلَل

واطلب من الله كل غالي لا يهين

وإذا كان هذا التلميح يعطي إشارات يسيرة في كيفية التعامل مع الدَّلَل والصبر على ما يسفر عنهم، نجد الشاعر هادي عوض عسكول يفضل التصريح عن التلميح إذ قال واصفاً الدَّلَل:

خَسّ[33] المسالك مع الدلال

من يوم يخلق وهو حَيّال

والصدق عند الدَّلَل مدفون

محسنه[34]لا قال حيّابك[35]

وإن قد لحق[36] مصلحه باعك

ليل الزّقارين[37] يتعشون[38]

والدَّلَل بشكل عام ظاهرة صوتية يمكن ملامستها في

وسط الأسواق، وفي أماكن الجدال، ويتحاشى الناس الخوض في جدالهم؛ لأن البعض منهم لا يتورع – إذا استُفِزّ – عن الجهر بالسوء من القول والفعل، وفي هذا الصدد قال بامطرف: "وللدلل أساليب غريبة في إثارة الفتن بين القبائل منها على سبيل المثال لا الحصر أن الدلال لا يتورع في أن يكشف سوءته أمام القبيلي على مشهد من الناس، ويقول له ادخل هنا، هذا إذا كان القبيلي لم يكن قد أخذ بثأر له عند أحد"[39]، ولا يمثل هذا المنحى سلوكاً جمعيّاً عند معظم الدَّلَل في حضرموت.

2- ظاهرة الدَّلَل في المجتمع الشبامي:

للدلل في مجتمع مدينة شبام مكانة انمازوا بها عن غيرهم من الدَّلَل القاطنين في حواضر حضرموت الأخرى، وفي رأينا أن هذه المكانة صنعتها في المقام الأول مدينة شبام بأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية. وقد انقسم المجتمع في حضرموت على تراتبيات اجتماعية انتظمت بحسب الأثر أو الوظيفة في المجتمع، وأحياناً بحسب النسب، وفي هذا السُّلَّم الاجتماعي يقع السادة، ثم المشايخ على رأس الهرم، يليهم القبائل وهم حملة السلاح من غير القوى النظامية، وهؤلاء ينقسمون على قسمين: القبائل المستقرة على حافة الحواضر، والبدو الرحل، ويلي القبائل في السلم الاجتماعي القاطنون في الحواضر من التجار والحرفيين والفلاحين وغيرهم، وهؤلاء لهم تراتبياتهم الداخلية الخاصة[40].

وسكنت مدينة شبام عائلات معروفة تداخلت في ما بينها وفقاً لعادات موروثة ، ولهذا ارتكز النظام التراتبي في شبام على نمطية نشاطها التجاري، وهو بذلك يختلف عن نظام التراتب الاجتماعي التقليدي في حضرموت؛ إذ طغت فيه المكانة من الثروة على المكانة الاجتماعية التي تستند إلى النسب، أو المكانة العلمية، التي يمثلهما سادة حضرموت ومشايخها أو القوة التي يمثلها فئة القبائل، وهذه الفئات لم تكن مؤثرة في المجتمع الشبامي لعوامل عديدة منها: ضيق المساحة الجغرافية لمدينة شبام التي لا تساعد على التوسع العمراني. ومنها ما يرتبط بخصوصية الوظيفة الاجتماعية لفئتي سادة حضرموت ومشايخها. أما رجال القبائل فكانوا بحكم العادات القبلية المتوارثة ينظرون بازدراء إلى العمل الحرفي والمهني، لكنهم كانوا يزاولون الأعمال الزراعية في مناطقهم [41]. ومع هذا استقرت في مدينة شبام عائلات من تراتبيات مختلفة عملوا بالتجارة، وصاروا جزءًا من نسيجها الاجتماعي[42]، وهذه الأوضاع ساعدت على تماسك النظام التراتبي في شبام، وفي وضوح ملامحه.

ومن الأمور التي أفادت مجتمع شبام وعززت من نظامه الاجتماعي أن الشباميين – خلال مراحل التاريخ الوسيط والحديث – لم يمارسوا الفعل السياسي المباشر، وربما كانوا ينظرون لسقوط مدينتهم بيد القوى المتنافسة على أنه استبدال سلطة بسلطة جديدة، ولاريب أن لذلك آثاره السلبية على النشاط الاقتصادي، لكنه أقل وطأة من مغامرة الدخول المباشر في معترك الصراع السياسي.

كما كان للشباميين عادات ساعدت على تماسك مجتمعهم، من ذلك موقفهم الصارم تجاه السلوكيات المشينة للأفراد، لهذا نجد المؤرخ بن عبيد اللاه السقاف يصف شبام (بأرض المنقود)، أي: التي لا يسكت أهلها عن تصرفات المسيئين، وأورد نماذج لذلك[43]. ولعل ذلك يحيلنا في بعض الدلالات إلى حلف الفضول في مكة عندما تعاهدت القبائل لنصرة الضعيف فيها حفاظاً على سمعتها ومكانتها الدينية والتجارية.

وقد انتظم المجتمع في شبام في سُلّم اجتماعي اعتلى التجار رأس الهرم [44]، ثم توزعت العائلات بحسب المهنة والحرفة في داخل المدينة وفي ضواحيها القريبة، كما ساعد شيوع نظام الزواج الأفقي

على امتداد العائلات الشبامية وتماسكها. واحتلّ الدَّلَل مكانة متقدمة في هذا المجتمع من خلال تنوّع حركتهم في المجتمع حتى صار البارزون منهم يقاربون مكانة تجّار المدينة وأعيانها.

ومن أشهر عائلات الدَّلَل في شبام: آل نصير، وآل حم، وآل القفيل، وآل محيسون، وآل باشن، وآل حيدر، وآل خميس، وآل ضريس، وغيرهم، ولكل بيت رئيس يطلق عليه (المقدم). أما الرئاسة العامة للدلل (المقدمة) فهي لعائلة آل نصير، يليهم آل حم وآل القفيل في درجة الوجاهة الاجتماعية [45]، ومن مهام (مقدم) الدَّلَل التدخل في حل المنازعات الداخلية داخل فئة الدَّلَل ذاتها، وفي التحكيم التجاري بين الغرماء، وكان هذا التأثير يتم بتشجيع من السلطات الرسمية التي يمثلها نائب اللواء، وحاكم السوق[46].

وبإسناد من الوضع المادي المتوسط للدلل في المجتمع الشبامي جاءت مكانتهم الاجتماعية المتوسطة التي يمكن تشبيهها بالطبقة الوسطى في المجتمعات الكبيرة التي يدل وجودها على حيوية تلك المجتمعات. وإذا تمايز الناس في المجتمع الحضرمي نتيجة لمكانتهم الاجتماعية فإن هذا التمايز ينعكس على مظهرهم العام من حيث نظافة الجسم ونوعية الملابس وطريقة لبسها، وكان من السهولة بمكان تمييز تراتبية المرء من خلال مظهره الخارجي، وفيما يخص دلل شبام فأغلبهم في خمسينيات وستينيات القرن الماضي يغطي نصفه الأسفل بفوطه (سباعية) حمراء مخططة تربط بحزام جلدي، ويغطي نصفه العلوي بقميص أبيض اللون، ويتزيّن (بشال) يضعه على كتفه [47]، والشال: قطعة من القماش أطول من العمامة التي يفضل رجال القبائل تغطية رأسهم بها، وهناك تشابه بين الشال الذي يتزين به الدَّلَل وبين الشال الذي يضعه سادة حضرموت ومشايخها على أكتافهم مع اختلاف الألوان، ويتفرد السادة في حضرموت باللون الأخضر . وعلى أية حال لا يمثل الدَّلَل في شبام نسقاً واحداً من حيث المظهر الخارجي والمكانة في السوق، فبينما يقترب البعض منهم من مرتبة التجار ويمارس مهنًا خارج النشاط التجاري، هناك من صغار الدَّلَل من يمارس أكثر من مهنة كأن يعمل في الزراعة أو ذباحة الماشية أو الحمالة [48]، وهم بذلك يضطرون إلى تغيير حركتهم في طلب الرزق تماشياً مع حركة السوق المتقلبة.

وللدلل حضورهم في النشاط المجتمعي لمدينة شبام وبخاصة في الألعاب والعادات الشعبية مثل: الترتيب لرياضة قنص الوعل، وهي الرياضة الشعبية الأولى في وادي حضرموت[49]، ولهذه الرياضة خطوات تحضيرية قبل القناصة وبعدها، وبخاصة عند رحلة العودة وما يصاحبها من أهازيج ورقصات شعبية[50]. وعلى أية حال فإن هذه الطقوس الشعبية الابتهاجية لها دلالاتها في المجتمع الحضرمي.

3- تأثير الدَّلَل التجاري:

تلازمت مهنة الوسيط التجاري (الدلّال) مع ظهور مهنة التجارة؛ بوصفها نشاطاً اقتصادياً إنسانياً قديماً ارتبط بمرحلة من التطور الحضاري للمجتمعات البشرية، وفي مدينة شبام وفي عصرها (الذهبي) عندما كانت سوقاً مفتوحاً تفد إليها القوافل التجارية من مناطق حضرموت ومن المناطق المجاورة لها وجدت الحاجة لأثر الدلال؛ بوصفه حلقة الوصل بين التجار وبين الداخلين إلى شبام لغرض التجارة، فهو يجنبهم الاحتكاك المباشر مع خليط من البشر والبضائع وما يصاحب ذلك من أمور تتصف غالباً بالشد والجذب وارتفاع الأصوات وفحص البضائع، وتحديد أسعارها لهذا كان الدَّلَل بالنسبة للتجار عنصراً مهماً لاستكمال الدورة التجارية، وللحفاظ على مكانتهم الاجتماعية.

أما القادمون إلى شبام وبخاصة رجال القبائل (المستقرون والرحل) فهم أيضاً بحاجة لمساعدة العارفين بحركة السوق؛ لترويج بضاعتهم، وضبط أسعارها، وللمساعدة في شراء احتياجاتهم، وهنا يتمحور تأثير الدَّلَل في التقريب بين الأطراف مقابل

حق الوساطة، وبصرف النظر عن مدى مكسب طرفي التجارة (البائع – المشتري) فإن الرابح الأكيد في هذه العملية هم الدلالون، وربما هذا ما جعل بعض الدَّلَل في شبام يفضلون هذا العمل التجاري المضمون الربح على ممارسة العمل التجاري الذي تمثله عائلات معروفة في شبام. ومع أهمية الدَّلَل في الحركة التجارية فإن للتاجر في شبام مطلق الحرية في البيع والشراء المباشر باستثناء الصفقات التي يتدخل فيها الدلالون فلهم حصة تبلغ 1،5% [51].

واشتهر الدلال الشبامي بالبراعة التجارية، وحسن التصرف، وسرعة البديهة، وكذا بذلاقة اللسان وحدّتها، لاسيما عندما يشعر بخلل معيّن في نظام السوق [52]، ورفعت هذه الصفات من سمعة الشبامي في المجتمع الحضرمي، لهذا يمكن القول: إن الدَّلَل كانوا يعبّرون عن ثقافة مدينة كاملة تداخل في سوقها ليس ثقافات مختلفة بل أنماط مجتمعية، تطلّبت لغةَ تخاطب قادرة على فهم هذا التنوع.

وداخل منظومة النشاط الاقتصادي التجاري الشبامي تتنوع الحرف والمهن من تجار، وعمال بناء، ودباغين، ونجارين، وحدادين، وأصحاب المشغولات اليدوية، وعمال التخديم والحمالة ....إلخ. ووسط هذا التنوع نجد الدلال على مسافة غير بعيدة من هذه الأنشطة من حيث القيام مع أصحاب الحرف بوظيفة الوسيط التجاري[53]، وأحياناً ممارسة البعض منهم لهذه المهن إذا اقتضت حاجته للعمل كما سبقت الإشارة. وعلى هامش هذه الأنشطة يقوم بعض الدَّلَل بعملية تحصيل الديون المتعسرة، واستحقاقات التجار داخل المدينة وخارجها[54]، وهي – لاشك – عملية تتطلب جرأة في الكلام، ولعلنا بهذا النشاط المتنوع للدلل لا نبالغ إذا وصفناهم بشعلة الحركة الاقتصادية في المجتمع الشبامي، وركيزة مهمة من ركائزه.

كما يقوم الدَّلَل بتقدير ثمن البضائع المعروضة في السوق، وهي عملية لا ترتبط فقط بجودتها، بل بمدى حاجة السوق لها، ولهذا يقال في حضرموت: (حُسن السوق لا حسن البضاعة)، ولأهمية تقدير أثمان السلع في شبام يُذكر أن بعض الصفقات التجارية التي تتم خارج المدينة أو في طريقها إليها يُتّفق على سعرها بما هو متعامل به في شبام في حينه، مما جعل من سوق شبام بمنزلة بوصلة تجارية تُضبَط عليها حركة التجارة وتقلبات الأسعار[55]. وأيضاً جعل من الدَّلَل – كما يطلق عليهم على سبيل الإطراء – ميزان التجارة [56].

وبعض الدَّلَل جمع بين عمله التقليدي، وبين النشاط التجاري المباشر من خلال فتحهم للحوانيت الخاصة بهم، وهناك من الدَّلَل من تخصص في السمسرة لبضائع محددة كتجارة الماشية أو الحطب ... إلخ.

وعلى أية حال يتفاوت دخل الدلل بحسب نوعية الحركة في السوق والمكاسب المتحصلة، وعلى ضوء ذلك تتباين مكانة الدَّلَل داخل فئتهم ذاتها، فعائلات الدَّلَل الكبيرة والمعروفة في شبام هي التي ترتبط بعلاقات خاصة مع تجار المدينة، والتجار الوافدين باختلاف مكانتهم الاجتماعية وتراتبياتهم. وذكر التاجر الشبامي طَيِّب التوي أن التجارة في شبام مفتوحة وأن هناك من يمارس الدلالة في شبام من غير أهلها، وميّز البعض في شبام بين دلال السوق، والدَّلَل الأصلاء الذين لهم أعرافهم وعاداتهم المتعارف عليها، ولهم ارتباطات خاصة مع التجمعات القبلية [57].

4- علاقة الدَّلَل برجال القبائل:

من الأمور التي تثير اهتمام الباحث في تاريخ مدينة شبام، وربما فضوله، تلك العلاقات التي ربطت بين سكانها من الدَّلَل، والقبائل التي ترتادها بغرض التجارة، وعلى أساسها قام الدَّلَل بالوساطة التجارية، والتدخل في حل بعض المنازعات القبلية، وليتسنى فهم هذه العلاقة التي تبدو خارج مهنة الدَّلَل الأساسية لابد أن نتتبع أبعادها داخل بنية المجتمع الحضرمي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمدينة شبام مدينة

مسَوَّرة يحكمها النائب عن السلطنة القعيطية (نائب اللواء)، وهو يمثل السلطة السياسية العليا في المدينة، ومن أبرز مهامه: حفظ الأمن، وتسيير أمور المدينة، وتحصيل الضرائب[58].

وكانت السلطة الفعلية لسلطنتي حضرموت لا تتعدى أسوار المدن الرئيسة، مع احتفاظ كل سلطنة بحدودها المرسومة المتفق عليها بموجب معاهدة عدن عام 1918م[59]، لكن هذا التقسيم لم يمنع حرية حركة الحضارمة في كل أرجاء حضرموت، وإلى حين سقوط سلطنتي حضرموت في عام 1967م ظلت حضرموت تحت الحماية البريطانية لكن بترابط جغرافي واقتصادي واجتماعي واحد لا يميزه إلا وجود رموز الحكم في عاصمتي السلطنتين، وفي المدن الرئيسة[60]، ولهذا كان رجال القبائل يأتون إلى مدينة شبام من كل مناطق حضرموت، وهذا ساعد على توسع التجارة وتنوعها، كما ساعد في دخول الدَّلَل في علاقات خاصة مع القبائل الحضرمية، وغير الحضرمية [61].

ولِمَا يلازم عملية البيع والشراء المباشرة في الأسواق من شد وجذب، والمساومات كان رجال القبائل يفضلون النأي بأنفسهم عن هذه المواقف التي لا تتناسب مع سيكولوجيتهم، ومن هنا جاءت حاجة الطرفين لبعضهما البعض، فالدلال حريص على العائد المادي جراء تسهيل تجارة البدوي، والأخير بحاجة إلى خبير بالسوق والأسعار.

ومع مرور الزمن ولأجيال متعاقبة تطورت العلاقة بين رجال القبائل والدَّلَل في شبام، وامتزجت فيها المصالح المشتركة مع العلاقات الإنسانية التي يمكن وصف بعضها بالحميمية، وصار لأسر معينة من الدَّلَل قبائل خاصة (تحتكر) تعاملاتها التجارية، واكتسبوا خبرة بالعادات والأعراف القبلية، ويستطيع الدلّال تمييز رجل القبائل التابعة له من خلال مظهره العام ولهجته، ولهذا يرى بعض الشباميين أن الدَّلَل الأصلاء هم فقط أولئك الذين يرتبطون بعلاقات مع رجال القبائل[62]، وهذه العلاقة التي تبدو شكلية فإنها في جوهرها تخدم نظام السوق، وتعزز النشاط التجاري في المدينة، ومعروف أن العلاقات بين أبناء الريف وبخاصة البادية، وأبناء المدينة في المجتمعات التقليدية غالبا ما يحفها ظلال من الشك، لاختلاف النظرة للقيم الاجتماعية، ولاعتزاز كل طرف بنمط حياته.

وأحياناً تتعدى العلاقة بين الجانبين التعامل المباشر في السوق إلى استقبال الدلال (للبدوي) في بيته إذا اضطر الأخير إلى المكوث في المدينة لأيام، والإقامة تكون في الطوابق السفلى، والغرض من ذلك عزل الرجال عن النساء[63]، وبهذا تتداخل علاقة الضيافة مع علاقة المستأجر، وكلفة الإقامة تدفع بطريقة غير مباشرة بحيث لا يبدو الأمر بشكله التجاري السافر، وهذا التقارب أسهم في تعزيز العلاقات بينهما. ويمكن القول إن دخول رجال القبائل مدينة شبام وبقاءهم مدة من الزمن خارج نظام الحماية القبلية، وفي غياب وسائل الإقامة الحديثة (الفنادق) يجعل الفرد منهم في وضع يشبه العهدة (الأمانة) عند الدلال لهذا يكون محل اهتمامه، وبخاصة عندما يصاب بمرض، أو تحضره الوفاة، فإن الدلال هو المسؤول الأول عنه إلى أن يحضر ذووه[64]، ولاشك أن هذا التعامل يخلق حالة من الرضا عند رجال القبائل؛ لأنهم بحكم عاداتهم يفضلون الإقامة والنوم في الأماكن المفتوحة البعيدة عن المدن، ولا يفضلون الإقامة على هوامش المدن أو في أزقتها؛ لأسباب تتعلق بأمنهم الشخصي، ولاعتزاز الفرد منهم بنفسه وبقبيلته[65].

إن هذه العلاقة التي قامت على أساس المصالح المشتركة هيأت الظروف المناسبة في تفاعل دلل شبام مع جوانب من الحياة القبلية في حضرموت. فمنهم من يتباهى بالقبائل (الصديقة) وبما حققوه من إنجازات قتالية ضد القبائل الأخرى، ومعروف عند القبائل أن دم القبيلي المقتول عار لا يغسله إلا الأخذ بالثأر، ولأن أغلب القبائل الحضرمية لا تميل إلى

خيار قبول الدية عند محاولات التسوية والصلح، ظلت ظاهرة الثأر حاضرة بقوة في الحياة القبيلة[66].

ومن منطلق احتفاظ (أصحاب الدم) بحق الأخذ بالثأر يتفهم المجتمع القبلي تأخر القبائل في تحقيق ذلك وإن طال الزمن، وهذه الوضعية على ما فيها من مساوئ فإنها أسهمت بصورة غير مباشرة في خلق نوعٍ من التوازن في العلاقات القبلية، كما أنها جعلت من الاقتتال القبلي عبئاً ثقيلاً على الجميع [67]. وفي المجتمع الحضرمي غالباً ما يتهم الدَّلَل بخرق (نظام) الثأر بعيد المدى. وهناك عدد من الروايات تشير إلى قيام بعض دلل شبام بالتحريش بين القبائل، وبخاصة عندما يشتد سخط الفرد منهم (الدَّلَل)، فتبدر عنه كلمات لاذعة تُقلِّل من شان القبيلي صاحب الثأر، وتشبهه أحيانا بالنساء [68]. وفي مجتمع مدينة شبام لا تختفي مثل هذه التصريحات وتنتشر بسرعة، لهذا يكون القبيلي في موقف لا يحسد عليه، بل لا يستطيع العودة إلى المدينة أو إلى قبيلته وهو رافع الرأس إلا بعد أن يأخذ بثأره أو يحاول. وأحياناً يقوم بعض الدَّلَل بتحفيز صاحب الثأر على الأخذ بثأره لأسباب في ظاهرها النصيحة المخلصة، وفي باطنها الرغبة في الرد على الدلّال المنافس لحصد النقاط الكلامية بينهما دون الانتباه للتبعات المؤلمة لتلك النصيحة.

إن هذا المنحى في العلاقات بين الدَّلَل ورجال القبائل لا يعني نسقاً تلازمياً للعلاقات بينهما، والأصل في العلاقة هو المصالح المشتركة المشوبة بلمسات إنسانية شكلتها نمطية المجتمع الشبامي المحافظ الذي تحولت فيه بيوت الدَّلَل – كما أشرنا – في غياب (الفنادق) إلى سكن مؤقت بإيجار رمزي، وقد قابل رجال القبائل هذا الجميل بالجميل عن طريق إظهار الحفاوة لكبار الدَّلَل عند زيارتهم لمثاوي أصدقائهم من رجال القبائل، ويشير (الشيخ) سالم فرج نصير – وهو من فئة الدَّلَل – إلى أن والده يمكث أحياناً بالأشهر في ضيافة قبيلة الجعدة [69]، وهذه منزلة لا يحظى بها عادة إلا ضيفٌ مهمٌّ من زعماء القبائل (المقادمة)، أو من كبار الأعيان. وعلى أية حال تُظهِر لنا هذه المؤشرات تجاوز العلاقة بين الدَّلَل ورجال القبائل عن حد المصالح المشتركة إلى علاقة تداخل فيها الاقتصادي مع الاجتماعي مع الإنساني.

وقد حرص الدَّلَل في شبام على تعزيز هذه العلاقات وتأكيدها، فعندما حُكِم على رجل من القبائل بالضرب في ساحة عامة بعد اعتدائه على أحد تجار المدينة، وبعد اضطرار قبيلته في قبول الحكم تحت تهديد الحصار الاقتصادي، ولمَّا كان التنفيذ قاب قوسين أو أدنى تقدم أفراد من الدَّلَل من أصدقاء القبيلة المدان ابنها وعرضوا أنفسهم للعقاب بدلاً عن المدان، ويعطي هذا الموقف دلالات متعددة في (قانون) مجتمع مدينة شبام، فهو من جهة يسهم في حفظ النظام؛ لأن أمن المدينة الداخلي يعد أهم مرتكز لانسيابية التجارة وتدفقها، كما أنه سيحد من التجاوزات المحتملة من بعض رجال القبائل؛ بوصفهم الفئة المسلحة غير الرسمية في حضرموت، ومن جهة أخرى يدل على حنكة تجار شبام (القرار)[70]، فالعفو في اللحظات الأخيرة نزولاً عند استجداء الدَّلَل يمكّن من وصول رسالتهم دون تحقيق الإهانة المباشرة للرجل (القبيلي) الذي إن اضطر إلى قبول الحكم فإنه إذا نفذ سيترك في نفسه ضغينة، وفي تقديرنا أن البطل في هذا الموقف هم دلل شبام الذين يتدخلوا في الوقت المناسب بما يحقق التوازن بين حق التاجر في القصاص، وبين حفظ كرامة القبيلي وماء وجهه.

وخارج أسوار مدينة شبام كان للدلل صولتهم مستفيدين من علاقاتهم الخاصة مع جوارهم القبلي، ونجاحهم في البقاء على مسافة قريبة من أطرافه، سواء كان في إطار القبيلة (الصديقة)، أو القبائل بعضها البعض، لهذا تجد بعض الدَّلَل يقوم بوظيفة الوسيط بين المتنازعين لحل الخلاف، أو لترتيب شروط الهدنة، أو يلبي طلب بعض التجار ببعث رسالة لقبيلة يتعامل

معها الدلال لحماية قافلته التجارية، فتمضي القافلة على ضمانته[71]. وهذا الأثر لا يقوم به في العادة إلا بعض الأسر المشهورة من سادة حضرموت ومشايخها لمكانتهم الاجتماعية المعترف بها في المجتمع الحضرمي، أما الدَّلَل ورغم تدني تراتبيتهم الاجتماعية مقارنة بهؤلاء [72] فقد اكتسبوا هذه المكانة من خبرتهم بالعادات الاجتماعية، ومن علاقتهم الخاصة بالقبائل، وجرأتهم في الحديث، وحنكتهم في التقريب بين الغرماء التي صقلت في أسواق مدينة شبام.

تجدر الإشارة إلى أن الدَّلَل يشتركون مع سادة حضرموت ومشايخها في ميزة عدم حمل السلاح، وفي حيادهم في المنازعات القبلية، ومن هنا وجدت حاجة المجتمع القبلي لهذه العناصر للتخفيف من حالة الاحتقانات القبلية المزمنة والمرتبطة في حقيقتها بضعف الموارد الاقتصادية المحلية، والتخلف الاجتماعي، وهي أمور عادة تفرز أوضاعاً قابلة للاحتكاك والصراع بين القبائل المتجاورة، بل وداخل القبيلة نفسها.

إن تدخل الدَّلَل في الشأن القبلي خارج مدينة شبام ربما يثير تساؤلات من قبيل: لماذا قام الدَّلَل في شبام بهذا التأثير خارج نشاطهم الاقتصادي الأساس؟ وماهي مصلحة المجتمع الشبامي؟.

ولمحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها لابد من التذكير أن موقع مدينة شبام في وسط حضرموت جعلها على مقربة من الأحداث التي تدور حولها، وغير معزولة عنها، وبهذا يمكننا القول إن الدَّلَل في شبام كانوا في بعض المواقف بمنزلة السفراء المتجولين لخدمة مصالح مدينتهم، كما أن الدَّلَل وبعلاقاتهم المتداخلة مع رجال القبائل كانوا يقبلون وظيفة الوساطة بوصفها جزءًا من شخصيتهم الاجتماعية، وبصرف النظر عن مدى صدق نواياهم فإن ذلك يؤكد على حضورهم الفاعل في مجتمعهم.

ومن الأمور اللافتة للنظر في هذه العلاقةَ قيام الدَّلَل برهن خدمة القبائل التابعة لأُسر منهم، أو ببيعها لدلال آخر أو أسرة أخرى، وتدوّن هذه الصفقة في اتفاقيات[73] يذكر فيها: الثمن المستحق، وأسماء القبائل التي تحولت تبعيتها للدلال الجديد، وتاريخ الاتفاقية وأحياناً الزمن المحدد المتفق عليه وأسماء الشهود، كما تدخل خدمة القبائل عند الوفاة في قسمة الورثة، ولا يدخل في عمليات البيع القبائل المرهونة التي لم يفك رهنها [74].

ومن أبرز الوثائق (الصكوك) الخاصة بخدمة الدَّلَل تلك التي كان من أطرافها رموز للسلطنة القعيطية، ونشاهد ذلك في الوثيقة المؤرخة 12 ربيع الأول 1349هـ (7 أغسطس 1930م) بين المشتري: مردوف مبارك بن سعيد حم، والبائع إليه السلطان عمر بن عوض القعيطي (1921–1935م)، وذلك في: (خدمة دلالة البدو والمشايخ آل عقيل أهل القبلة حلان حريب آل أحمد بن عقيل)[75]، وقد كانوا قبل إبرام هذه الاتفاقية كما جاء في الوثيقة (همل)، أي: لا توجد أسرة معروفة من الدَّلَل تدعي الحق في خدمتهم، وتكشف لنا هذه الوثيقة التنافس والتنازع بين أسر الدَّلَل في شبام للحصول على حق خدمة الوافدين إلى مدينة شبام، ولهذا حرص الدلّال (مردوف حم)على توثيق هذا الحق الجديد بصك رسمي من رأس السلطنة القعيطية قبل أن يسبقه منافس من زملائه، وقد عُزِّز الاتفاق بصيغ تهدد المخالفين بعقاب من النائب عن السلطنة في شبام، والغرامة بدفع ضعف ما استلم من خدمة هذه القبائل المحسوبة حصريًا في ضمن نشاطه التجاري، وقيمة الصفقة 1200ريال ماريا تريزا[76]، ولاشك أن المبلغ كان مغرياً لهذا قبله السلطان، وبصرف النظر عن قيمته الفعلية وقتئذ تدل الصفقة بمجملها على أرباح الدَّلَل الوفيرة من هذه الخدمة، وعلى نظرتهم التجارية بعيدة المدى.

ولتأكيد عرى هذا الاتفاق وجدنا وثيقة كتبت بعد يومين من سابقتها،حملت نص الوثيقة الأولى ذاته، والاختلاف بينهما أن الأخيرة كتبت في ورقة رسمية تحمل شعار السلطان عمر ولقبه الرسمي في حيدر أباد بالهند،[77]، ويبدو أن الدلّال (مردوف حم) حرص على أن يوثق هذه الصفقة في أوراق رسمية ليعزز الاتفاق ويحميه، وبعد زهاء أربع سنوات حدث ما يخشاه؛ إذ نازعته على هذه الخدمة أسرة أخرى من الدَّلَل مما تطلب التأكيد الرسمي على هذا الحق. ونستنتج ذلك من إعادة اعتراف كل من السلطان عمر بن عوض القعيطي، والسلطان صالح بن غالب القعيطي، والشهود وذلك بتوقيعاتهم بجانب نص ملحق كتب على ظهر الوثيقة ذاتها يؤكد على حق الخدمة للدلال مردوف بحسب ما جاء فيها[78].

وفي وثيقة مشابهة نجد أن النائب عن السلطان القعيطي في شبام (الأمير علي بن صلاح القعيطي) هو الطرف البائع لخدمة المرتادين الجدد لسوق شبام، والمشتري هنا فرع آخر من أسرة حم، أما قيمة الصفقة فهو 400 ريال ماريا تريزا[79]، ويحمل هذا الاتفاق الرمزية الرسمية نفسها التي حملتها الاتفاقية السابقة وإن اختلف مستوى التمثيل من حيث المكانة في مستوى الحكم.

والغائب في هذه الصفقات هم القبائل والأُسَر المتفق عليها، ولا يلمس رجال القبائل وغيرهم في هذه العملية التجارية الداخلية شبه السرية أيَّ إساءة لشخوصهم؛ لأن أصل العلاقة كانت تقوم على أساس المنافع المشتركة، ولهذا فإن الدلالة بوصفها آلية من آليات السوق في شبام فقد ظلت هي السائدة بصرف النظر عن تبدل أسماء الأشخاص المتعامل معهم، أما بالنسبة للدلل فكانوا ينظرون لهذه المبايعة بوصفها عملية تجارية تدخل في منظومة ثقافة السوق في شبام.

5- انهيار المكانة التجارية لمدينة شبام:

مرت مدينة شبام في معظم عهد الحكم القعيطي بمرحلة يمكن وصفها بالذهبية، فقد ظلت السوق التجاري الأول في وادي حضرموت، وقبلة للقوافل التجارية. لكن هذه المكانة أخذت في التراجع تدريجياً منذ أربعينيات القرن الماضي؛ نتيجة لعدد من العوامل أهمها: الهدنة العامة المعلنة في حضرموت، أو صلح إنجرامس 1937- 1950م[80]، ودخول سيارات الشحن إلى حضرموت.

وقد ساعد دخول معظم القبائل الحضرمية في هذا الصلح العام – بصرف النظر عن الأهداف المعلنة وغير المعلنة للساعين فيه – على اتساع حركة القبائل وتداخلهم مع المجتمعات الحضرية القريبة منهم، وأخذ البعض منهم في البحث في المدن عن فرص معيشية أفضل، وعلى المدى البعيد، ومع تراجع حدة الصراعات القبلية أخذت علاقة الدَّلَل برجال القبائل في التقلص، في حين استمرت المعاملات التجارية المباشرة في سوق شبام حيناً من الزمن إلى أن طالتها التحديات الحضارية والسياسية المؤشرة بقدوم تحولات في غير مصلحة المجتمع الشبامي.

وبعد الحرب العالمية الثانية ازداد عدد سيارات الشحن التي تنقل البضائع من مدن ساحل حضرموت الرئيسة إلى مدن وادي حضرموت وبلداته، وهذا المتغير الجديد أربك البنية الاقتصادية والاجتماعية التقليدية في حضرموت، ولأن رجال القبائل (البادية) الذين يملكون قوافل الجمال هي المهيمنة على عملية النقل، لذا كانوا أول الرافضين لدخول سيارات الشحن بالبضائع إلى مناطق وادي حضرموت، بل دخلوا في صدام مباشر مع السلطات المحلية؛ لأنهم وجدوا في ذلك تهديداً حقيقياً لمصدر مهم من مصادر رزقهم[81].

وهذا الصدام الذي يحمل دلالات حضارية لم يدم طويلاً؛ إذ صار النقل في السنوات الخمس التي سبقت سقوط السلطنتين أمراً واقعاً. وفي هذه المدة اهتزت مركزية مدينة شبام التجارية لكنها احتفظت برمزيتها التجارية في وقت كانت حضرموت تشهد هي

الأخرى تحديات سياسية انتهت بسقوطها تحت حكم الجبهة القومية عام 1967م، وبذلك دخلت شبام في عهد جديد من تاريخها[82].

وهكذا فبينما كان رجال القبائل يحاولون وقف عجلة التطور بأزيز الرصاص، كانت أصوات الدَّلَل في شبام تخبو تدريجياً بانتشار ضجيج المركبات، وكل هذه التطورات وغيرها كانت تنبئ بقدوم مرحلة جديدة في تاريخ حضرموت، وأفول صفحة من تاريخ مدينة شبام عندما أخذت في الاستسلام لقدرها بضغط حقائق الواقع، وسنن التطور التاريخي.

الخلاصة:

أدرك الشباميون أهمية موقع مدينتهم في وسط وادي حضرموت، وأسهموا عبر مراحل تاريخية متعددة في أن تتبوأ مكانتها التجارية المشهورة، وهذه المكانة جعلت قوى عدَّة تتنافس من أجل السيطرة عليها، وأدى خضوع مدينة شبام للحكم القعيطي، وانحصار الصراع في حضرموت بين السلطنتين القعيطية والكثيرية إلى تحول معادلة الصراع التقليدية؛ إذ دخلت شبام في ضمن إطار كيان سياسي كبير، وهذا ساعد مع عوامل أخرى على استتباب الأمن في المدينة، وازدهار الحركة التجارية.

وكان لتداخل الأنشطة التجارية واتساع رقعة مناطق المترددين على شبام أن أوجد الحاجة إلى تنظيم وتيرة هذه الحركة التجارية وتسييرها بعيداً عن السلطة الحاكمة الرسمية، ولهذا كان لدلل شبام أثر لافتٌ في هذه الحركة، ميّزهم عن الأثر التقليدي للدلل في بقية الحواضر الحضرمية حتى أصبحوا بمنزلة المعبرين عنها، ورمزاً لهويتها.

وفي تقديرنا أن من أهم ما صنع شهرة الدَّلَل في شبام هو دخولهم في علاقات مع المجتمع القبلي الذي بلغ في بعض وجوهه حدّاً يشبه التحالفات القبلية التقليدية مع الفارق، أنهم لم يكونوا طرفاً مباشراً في الصراعات القبلية، وبهذا الأثر تماشوا مع الأثر الذي يلعبه سادة حضرموت ومشايخها في المجتمع القبلي رغم الاختلاف في التراتب الاجتماعي، وأسس المرجعيات في العلاقة لكل منهما، ففي حين كانت تعتمد علاقة الدَّلَل مع رجال القبائل على المصالح التجارية والمنفعة المتبادلة، استندت علاقة سادة حضرموت ومشايخها على مكانتهم الاجتماعية.

لقد شكل الدَّلَل ظاهرة اجتماعية في مدينة شبام، وكان لتعاملاتهم مع خليط من الناس من مشارب شتى وأنماط سيكولوجية متنوعة أن جعل وجهات النظر تتباين حولهم، ورغم اعترافنا بغياب الأدلة العلمية التي تمكننا في رصد الموقف الحضرمي العام من الدَّلَل في شبام فإننا نعتقد أن الكفة لن تميل لصالحهم؛ لأن أساليبهم في إتمام الصفقات التجارية كثيراً ما تنجح، لكن يصيب بعضها شيء من ظلال الشك، و من هنا ربما جاءت النظرة السلبية إليهم في بعض أطروحات الثقافة الشعبية.

الهوامش:

(1) صالح أحمد باخبيرة، تقرير عن الحملة الوطنية والدولية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت ، مقدم إلى الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت ، جامعة عدن،1988م، ص6

(2) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ،دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى2005م،ص519.

(3) نقش القائد يعمر أشواع وأخيه زيد قوم(32- sh).

(4) محمد أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة،1994م،ص87.

(5) سعيد عوض باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة،2012م،ص67.وينظر:محمد أحمد الشاطري ، المرجع نفسه، ص127.

(6) د.سرجيس فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، تقديم وتعريب د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل ،المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية صنعاء،2004م، ص197

(7) محمد بن عمر الطيب بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، الطبعة الأولى، صنعاء،1999م،ص150.

(8) محمد عبدالكريم عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (1839– 1918م) ،دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمّان، 1985م،ص36.

(9) ثابت صالح اليزيدي، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت،(1845–1919م)الناشر: جامعة عدن– ودار الثقافة العربية، الطبعة الاولى،2002م، ص 124–125.

(10) د. محمد عبدالكريم عكاشة، المرجع السابق،ص55.

(11) سعيد عوض باوزير ،المرجع السابق،ص249.

(12) ثابت صالح اليزيدي، المرجع السابق،ص130.

(13) محمد عبدالقادر بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية،عدن،1983م، ص34.

(14) محمد عبدالكريم عكاشة، المرجع السابق، ص 59.

(15) للمزيد من المعلومات عن هذا الصراع ينظر: محمد عبد القادر بامطرف في سبيل الحكم.

(16) صحيفة الطليعة، سياسية أسبوعية، صاحب الامتياز ورئيس التحرير أحمد عوض باوزير ،العدد394/ 11أكتوبر 1967م،ص1.

(17) عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، دراسة وتحقيق ،د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم 2010م،ص471.

(18) محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، الطبعة الثانية دار الهمداني للطباعة والنشر،عدن،1983م،ص31، وأشار إلى أنه في بداية القرن السادس عشر الميلادي كان يطلق على سوق من أسواق الشحر بـ (سوق شبام) وما تزال هذه التسمية تطلق على سوق من أسواقها.

(19) تغير مسمى المعاهدات بين السلطات البريطانية في عدن والسلاطين القعيطيين بحسب مقتضيات الأمور وتقلبات الأحوال فبعد أن سيطر القعيطيون على المكلا عام 1881م، وقع الجانبان على معاهدة صداقة في 19 مايو 1882م، التزم بموجبها القعيطي بأن لا يبيع أو يرهن أي جزء من ممتلكاته لأي دولة غير الحكومة البريطانية، ولا يدين بالولاء لأية دولة أو يعترف بسيادتها دون موافقة بريطانيا. ولإبعاد التغلغل الأجنبي في المنطقة وبخاصة العثمانيين الذين سيطروا على صنعاء في عام 1872م فرضت بريطانيا على القعيطيين معاهدة الحماية في 1 مايو 1888م، وبعد تحول عدن إلى مستعمرة تاج تابعة لوزارة المستعمرات وبسبب الأزمات التي مر بها نظامها الاستعماري حينئذ أبرمت بريطانيا معاهدة الاستشارة مع السلطنة القعيطية في 31 أغسطس 1937م.

(20) صالح أحمد باخبيرة، المرجع السابق، ص8

(21) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، دار الاوقاف العربية، الطبعة الأولى2001م، ص134.

(22) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، المرجع السابق، ص518.

(23) محمد عبدالكريم عكاشة، بحث مقدم إلى الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت ، جامعة عدن،1988م، ص3.

(24) دبليو انش إنجرامس، حضرموت 1934–1935م، تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،2001م،ص74. وقد زار (هارولد إنجرامس) حضرموت عام 1934م وكتب تقريراً عن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحدث فيه عن طرق القوافل التجارية التقليدية المتجهة إلى وادي حضرموت، وأجور النقل، وقدر قوافل الجمال التي تخرج إلى حضرموت الداخل سنويا من خارج البوابة الغربية لمدينة المكلا بـ50.000 – 53.000 جمل ومن الشحر عدد القوافل 30.0.0– 32.000 جمل.

(25) علي بن عقيل، حضرموت، مطبعة سوريا،دمشق،1949م ،ص30

(26) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2004م، ص 88

(27) لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،ص218

(28) محمد عبدالقادر بامطرف، المعلم عبدالحق، الطبعة الثانية، دار الهمداني،1983م،ص211

(29) المؤرخ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي، مقابلة شخصية في منزله بمدينة الشحر ،يناير2013م

(30) كان رجال القبائل هم الفئة المسلحة في المجتمع من غير الجنود الرسميين وهذه الوضعية تتعلق ببنية المجتمع القبلي التقليدية في حضرموت التي تشجع على حمل السلاح، والقيام بالأعمال القتالية.

(31) تنقسم القبائل الحضرمية إلى قسمين قبائل مستقرة وقبائل

مترحلة، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة لفظة (رجال القبائل) لنقصد بهم المنتمين للقبائل الحضرمية المستقرة منها والمترحلة.

(32) كتاب: أربعينية الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي(قطرة ندى على قبر المفلحي)، تحرير: د. سعيد الجريري– د. عبدالقادر باعيسى– صالح الفردي، مطابع وحدين الحديثة للأوفست، المكلا ،2005م ،ص156.

(33) خس: أسوأ

(34) محسنه: ما أحسنه

(35) حيابك : أهلا بك

(36) وإن قد لحق: إن وجد

(37) ليل الزقارين: لأجل الأولاد

(38) روبرت سارجنت ، نثر وشعر من حضرموت ، ترجمة سعيد محمد دحي، مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف ، مطبوع بالاستنسل ، المكلا ، 1980م ، ص 165 .

(39) محمد عبدالقادر بامطرف، المعلم عبدالحق،ص211.

(40) عبدالقادر محمد الصبان، عادات وتقاليد بالأحقاف، مطبوع بالاستنسل ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار حضرموت ، سيئون ، 1980م ، ص 34 وما بعدها.

(41) بعد الحرب العالمية الثانية (1939–1945م) بدأت النظرة إلى العمل الحرفي والمهني في المجتمع الحضرمي بالتغير التدريجي لأسباب عديدة. وقبل ذلك كان ممارسة (القبيلي) للعمل المهني والاستقرار في الحواضر بعيدا عن منظومته القبلية يعني انفصاله عن قبيلته وهبوط مكانته الاجتماعية وينطبق عليه الألقاب المتدنية التي يصبغونها على أصحاب المهن مثل : ضعيف، وجعيل، وغيرها.

(42) من أشهر أسر السادة التي سكنت شبام : آل بن سميط، وآل الحبشي.

(43) عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف، المرجع السابق،ص511.

(44) د. صالح علي باصرة، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، الطبعة الثانية ،دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،2001م،ص78.

(45) الشيخ سالم فرج عوض نصير(ابن مقدم دلل شبام) من مقابلة شخصية في شبام مسجلة (بالكاسيت) بحوزة الباحث .

(46) طيب التوي، من تجار شبام، مقابلة شخصية في مدينة شبام ،ديسمبر 2011م.

(47) الأستاذ عوض عمر حسان، من أعيان المدينة ومثقفيها، مقابلة شخصية في مدينة شبام ،ديسمبر 2011م .

(48) محمد فيصل باعبيد، مدير مكتب الثقافة والسياحة مديرية شبام،مقابلة شخصية في مدينة شبام.

(49) للمزيد من المعلومات عن هذه العادة ينظر كتاب : عبدالرحمن جعفر بن عقيل ،قنيص الوعل في حضرموت، مطابع الابتكار، الدمام،2004م.

(50) محمد أحمد الشاطري ،المرجع السابق،349.

(51) من المقابلة الشخصية مع التاجر الشبامي طيب التوي .

(52) وفي المأثور الشعبي يقال: "فتح ثمك، قال الشبامي" ،(فتح ثمك): افتح فمك. أي إذا جهلت أمراً أو اختلط عليك فاسأل العارفين لتفهم منهم حقيقة الشيء الذي تجهله. ينظر: محمد عبدالقادر بامطرف ،معجم الأمثال والمصطلحات العامية المتداولة في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر ،المكلا،2007م،ص270.

(53) علوي عبدالله بن سميط، إعلامي ومن المهتمين بتراث مدينة شبام، مقابلة شخصية في شبام

(54) لأستاذ عوض عمر حسان، من المقابلة الشخصية.

(55) الأستاذ محمد فيصل باعبيد، من المقابلة الشخصية.

(56) .لمست في أثناء نزولي الميداني لمدينة شبام نوعا من التحفظ عند من حاورتهم، ولاسيما عندما يدور الحديث عن ما ينسب من سلبيات للدلل، ومدى الصحة في ذلك.

(57) من المقابلات الشخصية مع التاجر الشبامي طيب التوي، والأستاذ صالح باخبيرة

(58) تنقسم السلطنة القعيطية إدارياً كما ورد في دستورها المطبوع في 8إبريل 1940م إلى خمسة ألوية منها لواء شبام، وأهم القبائل التي تسكن هذا اللواء هي : الصيعر، ونهد والكرب، وقبائل دهر ورخية وعرمة، وآل حريز، ويافع، وآل مخاشن، وآل تميم . ينظر : صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص240–241.

(59) وهي المعاهدة التي وقعها ممثلون عن السلطنتين الحضرميتين في عدن بإشراف المقيم السياسي البريطاني (ستيوارت)، وحدد بندها الثاني المناطق التابعة للكثيريين ولم تحدد مناطق السلطنة القعيطية وترك الأمر أمامها مفتوحاً. ولهذه المعاهدة أهمية كبيرة في تاريخ حضرموت؛ لأنها أدخلت ضمنياً السلطنة الكثيرية في نظام الحماية البريطانية.

(60) حول الوضع القانوني لسلطنتي حضرموت في نظام الحماية والاستشارة البريطانية أشار الدكتور عمر عبدالله بامحسون إلى الفرق بين الدولة الكاملة والدولة الناقصة في أن الأولى لا تخضع لأي دول أخرى، فهي تملك شؤونها الخارجية والدفاعية، ولأن السلطنتين أعطت الحق للمستشار البريطاني في التدخل في شؤونها تحت غطاء النصيحة فإنهما تعدان دولاً ناقصة السيادة. ينظر كتاب : التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية (1937–1967م)، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة،1990م، القاهرة، ص69–70

(61) عندما يبيع (البدوي) بضاعته التي غالبا ما تكون: البلح، والماشية، والحطب، والفحم الخشبي(الصخر) يقوم بشراء ما يحتاجه من سوق شبام ويساعده في ذلك الدلال المتعامل معه.

(62) صالح أحمد باخبيرة ،من المقابلة الشخصية.

(63) عوض عمر حسان، من المقابلة الشخصية.

(64) سالم عبد اللاه بن سميط، من أعيان المدينة ،مقابلة شخصية، في مدينة شبام. وذكرت الطبيبة الألمانية (ايفاهيويك) في كتابها(سنوات في اليمن وحضرموت) قدوم مريض من دوعن في عيادتها في شبام

بمعية دلال يقوم بجميع أعمال الدوعنيين عند زيارتهم لشبام.

(65) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، من المقابلة الشخصية.

(66) عبدالقادر محمد الصبّان ،المرجع السابق،ص65،وينظر: صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ،ص116

(67) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، من المقابلة الشخصية.

(68) تروى الكثير من المواقف التي استفز فيها رجال القبائل بقصد أو بدون قصد ودفعتهم للأخذ بالثأر من ذلك: أن (بدوياً) نازع دلالاً في مبلغ من المال، فقال له: إنما ظننتك تطالب بالقرش الذي عليك عند الآخرين وليس الذي عندي، وفي رواية أخرى أن بدوياً عليه ثأر، وقدم إلى شبام ويداه مخضبتان بالحنة فغمزه الدلال قائلاً: ظننت إنها مغمسة بالدم، أي: أنك قد أخذت بثأرك. ومثل هذه العبارات والغمزات تكون جارحة لكرامة البدوي. وأحياناً يقوم الدَّلَل (بالتحريش)، بمعنى: وضع المقالب لغرض الفكاهة وفي ذلك كتب بن عبيد الله السقاف :" ولسماسرة شبام اليد الطولى في سن الفاتر ..... إلا إنهم لا يسلمون من التحريش بين الناس؛ فبينما أحد شعرائهم بالسوق واسمه (علي) إذ ظهر قرنه الذي يهاجيه وهو (بازياد) فأشلوه عليه فتفطن لها بازياد وقال :

يا علي خذ لك نصيحة

من رفيقك بازياد

الشتم بيني وبينك

والضحك لأهل البلاد

ينظر : إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، ص531

(69) سالم فرج نصير، من المقابلة الشخصية، ومن الإشارات التي وردت في حديث الشيخ سالم نصير وأكدها آخرون وجود(كوت) قديم في داخل المدينة باسم (كوت الجعيدي) والكوت: عبارة عن بناء محصن يستخدم للأعمال العسكرية التي تتعلق بالحراسات والدفاعات الأولية، وهو شكل مصغر للحصون التقليدية في حضرموت، ولم نعثر على دليل علمي يفسر أسباب وجود هذا الكوت البعيد عن مثاوي قبيلة الجعيدي (بنو مُرّة) الرئيسة التي تقطن في وادي عمد أحد أفرع وادي حضرموت. وربما الأقرب أن يكون له علاقة بفرع آخر من هذه القبيلة وهم فخيذة (آل حريز) التي تسكن وادي سر القريب من مدينة شبام.

(70) القرار هم: سكان البلدة المستقرون منذ القدم مثل التجار والكتبة والمدرسين، وهذه التسمية على حد علمنا غير متداولة إلا في مدينة شبام ومع مرور الزمن صارت مصطلحا يدل على المرتبة الاجتماعية العليا في المجتمع الشبامي(التجار، ومشايخ العلم).

(71) صالح أحمد باخبيرة، من المقابلة الشخصية.

(72) في هذا الصدد كتب المؤرخ بامطرف: " في المجتمع الحضرمي، إذا ازدهى العلوي باتصال نسبه إلى البيت النبوي، تباهى الشيخ بأجداده وعلومهم وكرامتهم، وافتخر القبيلي بأعمال أجداده البطولية" ينظر كتاب: المعلم عبدالحق،ص225.

(73) من وثائق أسرة آل نصير: الوثيقة المؤرخة18 ذو القعدة 1352هـ [4مارس 1934م]وهي عبارة عن عقد مبايعة بين الطرف الأول: علي بن سهل نصير، وسالم بن عبدالله نصير والطرف الثاني سالم بن عمر نصير، ويلاحظ أن القبائل التي دخلت في هذه (الصفقة) هم قبائل تدخل مثاويهم تحت حكم سلطنات ومشيخات متعددة منها السلطنة الواحدية والعوالق ومشيخة بيحان والقبائل المذكورة في الوثيقة هم: بلحارث، والصعبين، وحلان بيحان، وآل عقيل وآل بوطيف، وحلان حريب وعبيده، وحلان أبراد النسين وحلان بلاد العوالق، وآل ربيع، وآل عبدالقادر، والقراميش، وحلان عياد. ينظر أيضاً الوثيقة المؤرخة22ذو الحجة 1331هـ /21 نوفمبر 1913م ،والوثيقة المؤرخة 3رجب 1332هـ/28 مايو 1914م ،والوثيقة المؤرخة 12جمادى الأولى 1372هـ / 28 يونيو 1953م، (نسخ مصورة من هذه الوثائق بحوزة الباحث).

(74) من وثائق أسرة آل نصير: الوثيقة مؤرخة في 21 شعبان 1372هـ [5 مايو1953م] ، وهي وثيقة مبايعة بين البائع علي بن عبيد علي نصير، والمشتري صالح بن خميس محيسون(نسخة مصورة من الوثيقة بحوزة الباحث).

(75) من وثائق أسرة آل حم : الوثيقة مؤرخة 12 ربيع الأول1349هـ [7 أغسطس 1930] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم (نسخ مصورة من وثائق آل حم بحوزة الباحث).

(76) جاء في الوثيقة 1200 ريال، ويقصد ريال الملكة ماريا تريزا ويطلق عليه محليا الريال الفرنساوي أو كما يرد في الوثائق (فرانصة) واكتسب أهميته بوصفة عملة فضية متداولة على نطاق واسع للمزيد ينظر: عبد الله سعيد الجعيدي،الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918- 1945م ،دار الوفاق للدراسات والنشر،ط2،عدن،2010م ص134.

(77) وثائق آل حم: الوثيقة المؤرخة 14ربيع الأول 1349هـ [9أغسطس 1930م] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم .

(78) وثائق آل حم : ينظر ظهر الوثيقتين السابقتين المؤرختين الأولى في: 12 ربيع الأول 1349هـ ، والثانية في: 14ربيع الأول 1349هـ (هامش 75- 77).

(79) وثائق آل حم: الوثيقة المؤرخة 16 جمادى الآخرة 1352هـ [5 أكتوبر 1933م]مبايعة بين البائع (السلطان) علي بن صلاح القعيطي والمشتري سلمان بن مردوف له ولإخوانه وعيال أخيه محفوظ ، وذلك مقابل حق خدمة دلالة (آل بوطيهف آل قاسم سكان حريب، والمشايخ آل عبد الصمد حلان سمره ومن تبع المذكورين من جيران وصبيان ويلوذ بهم) نسخة مصورة من الوثيقة بحوزة الباحث.

(80) للمزيد من المعلومات عن هذه الهدنة ينظر: عبدالعزيز بن علي بن صلاح القعيطي، إحلال السلام في حضرموت دراسة لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي 1933- 1953م.

(81) سالم عمر الخضر، الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في محافظة حضرموت في الفترة من 1948-1961م، من أبحاث الندوة العلمية التاريخية بعوان: المقاومة الشعبية في حضرموت 1900-1963م، كلية التربية المكلا،1989م،ص106 .

(82) سقطت السلطنة القعيطية في 17سبتمبر 1967م . ولحقتها السلطنة الكثيرية في 2 أكتوبر من العام نفسه.

المصادر والمراجع :

الوثائق:

1- الوثيقة المؤرخة22ذو الحجة 1331هـ /21 نوفمبر 1913م،اتفاق على بيع خدمة البادية بين :عبيد علي محمد نصير، وعبيد بن سعد عبود نصير.

2- الوثيقة المؤرخة 3رجب 1332هـ/28 مايو 1914م ،اتفاق على شراء خدمة البادية.

3- الوثيقة مؤرخة 12 ربيع الأول1349هـ [7 أغسطس 1930] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم

4- الوثيقة المؤرخة 14ربيع الأول 1349هـ [9أغسطس 1930م] وهي وثيقة مبايعة بين البائع السلطان عمر بن عوض القعيطي والمشتري مردوف مبارك بن سعيد حم .

5- الوثيقة المؤرخة 16 جمادى الآخرة 1352هـ [5 أكتوبر 1933]مبايعة بين البائع (السلطان) علي بن صلاح القعيطي والمشتري سلمان بن مردوف له ولإخوانه وعيال أخيه محفوظ

6- الوثيقة المؤرخة18 ذو القعدة 1352هـ [4مارس 1934م] عقد مبايعة بين الطرف الأول: علي بن سهل نصير، وسالم بن عبدالله نصير والطرف الثاني سالم بن عمرنصير.

7- الوثيقة مؤرخة في 21 شعبان 1372هـ [5 مايو1953م] ، وهي وثيقة مبايعة بين البائع علي بن

عبيد علي نصير، والمشتري صالح بن خميس محيسون.

8- الوثيقة المؤرخة 12جمادى الأول 1372هـ / 28 يونيو 1953م،اتفاق من أسرة آل نصير وهم (آل عبيد بن علي) لتحديد نصيبهم من خدمة البادية.

المؤلفات المطبوعة:

- إنجرامس، دبليو اتش ، حضرموت 1934-1935م ، تعريب د. سعيد عبد الخير النوبان ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،2001م.

- سارجنت ، روبرت، نثر وشعر من حضرموت ، ترجمة سعيد محمد دحي، مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف، مطبوع بالاستنسل ، المكلا،1980م.

- اليزيدي، ثابت صالح ، الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت ، (1845-1919م) الناشر :جامعة عدن- ودار الثقافة العربية ، الطبعة الاولى،2002م.

- البكري،صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الثاني، دار الأوقاف العربية ، الطبعة الأولى2001م.

- البكري،صلاح عبد القادر، في جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2004م

- باصرة، صالح علي ، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، الطبعة الثانية ،دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،2001م.

- باوزير، سعيد عوض ، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة،2012م.

- فرانتسوزوف ، سرجيس ، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، تقديم وتعريب د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل ،المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية صنعاء،2004م.

- الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع ،المدينة المنورة، 1994م.

- بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، صنعاء،1999م.

- عكاشة،محمد عبد الكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت

(1839- 1918م) ،دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمّان، 1985م.

- بامطرف، محمد عبد القادر،في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، ،عدن،1983م.

- بامطرف،محمد عبدالقادر،الشهداء السبعة، ، دار الهمداني للطباعة والنشر،عدن،1983م

- بامطرف،محمد عبد القادر، المعلم عبد الحق، دار الهمداني،1983م.

- بامطرف،محمد عبد القادر، معجم الأمثال والمصطلحات العامية المتداولة في حضرموت ، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا ، 2007م.

- السقاف،عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ،دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى2005م.

- بن عقيل، عبد الرحمن جعفر ، قنيص الوعل في حضرموت، مطابع الابتكار، الدمام،2004م.

- باحسن ،عبد الله بن محمد جمال الليل، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ، دراسة وتحقيق ، د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم 2010م.

- الصبّان،عبد القادر محمد، عادات وتقاليد بالأحقاف، مطبوع بالاستنسل، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار حضرموت ، سيئون ، 1980م.

- بامحسون ، عمر عبدالله، التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية (1937-1967م) ، الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ، 1990م ، القاهرة ، ص69

- بن عقيل ، علي ، حضرموت، مطبعة سوريا ، دمشق ، 1949م.

- كتاب: أربعينية الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي (قطرة ندى على قبر المفلحي) ، تحرير: د. سعيد الجريري- د. عبدالقادر باعيسى- صالح الفردي ، مطابع وحدين الحديثة للأوفست ، المكلا،2005م.

الندوات العلمية:

- الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت ، جامعة عدن،1988م.

- الندوة العلمية التاريخية بعنوان(المقاومة الشعبية في حضرموت

(1900–1963م) كلية التربية المكلا ،1989م.

الصحف:

صحيفة الطليعة، سياسية أسبوعية، صاحب الامتياز ورئيس التحرير أحمد عوض باوزير، العدد394/ 11أكتوبر 1967م.

القواميس:

ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف، القاهرة.

المقابلات الشخصية:

– عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي ،باحث في التاريخ، والتراث المحلي لحضرموت.

– د. عبد العزيز جعفر بن عقيل، مؤرخ، (مدير عام الهيئة العامة للآثار والوثائق، والمخطوطات م/حضرموت).

– علوي عبدالله بن سميط، إعلامي، من المهتمين بتراث مدينة شبام.

– الشيخ سالم فرج عوض نصير (ابن مقدم دلل شبام).

– طيب محمد التوي، من تجار شبام.

– الاستاذ محمد فيصل باعبيد مدير مكتب الثقافة والسياحة بمديرية شبام.

– الأستاذ عوض عمر حسان، من أعيان المدينة.

– صالح أحمد باخبيرة، من أعيان المدينة.

– سالم عبد اللاه بن سميط، من أعيان المدينة.

Abstract

Shibam used to be one of the most important commercial centres in Hahramout valley. It is always associated with its high buildings and its traditional architecture. This semi-field historical study attempts penetrating into the depth of the social life in this city focusing on what might be described as the market culture and the rule of brokers in it. Modern historical studies on Hadhramout concentrated on the political aspects. Social historical studies are still scarce due to the difficulty in tracing information about the social life in the historical references. Brokers in Shibam played a dual rule. In addition to their commercial rule (facilitating buying and selling for others) they interfered in the contradictions of the tribal community of the tribes that lived around Shibam. This dual rule along with other factors created the brokers' phenomena in Shibam. There are different descriptions for this phenomena and the society has different attitudes towards it.